على ذلك فكناية لغرته بقوله تعالى ان هذا اخي له تسع وتسعون نعجة وفي حديث
انس رضي الله عنه عنه صلى الله عليه وسلم فضلت على الناس بارتع بالسخاء
والشجاعة وكثرة الجماع وقوة البطش واما الجاه فهو عند العقلاء عادة يقدر
جاهه عظمه في القلوب وقد قالوا في صفة عيسى عليه الصلوة والسلام
وجيها في الدنيا والاخرة لكن افاته كثيرة فهو مضر لبعض الناس لعقبى الاخرة فلذلك
ذمه من ذمه ومدح ضده وورد في الشرع مدح الخمول وذم العلو في الارض
والكبر صلى الله عليه وسلم قد رزق من الحشمة والمكانة في القلوب والعظمة قبل
النبوة عند الجاهلية وبعدها وهم يكذبونه ويؤذون اصحابه ويقصدون اذاه
في نفسه خفية حتى اذا واجههم اعظموا امره وقضوا حاجته واخبارهم في ذلك
معروفة سيأتي بعضها وقد كان يبهت ويفرق قرينه من لمزه كما روي عن قبيلة
انها لما رأته ارعدت من الفرق فقال لها مسكينة عليك السكينة وفي حديث ابي
مسعود رضي الله عنه ان رجلا قام بين يديه فارعد فقال له النبي صلى الله
عليه وسلم هون عليك فانى لست بملك الحديث فاما عظيم قدره بالنبوة وشريف
منزلته بالرسالة واناقة ربه له بالاصطفاء والكرامة في الدنيا فامر هو
مبلغ انتهايته ثم هو في الاخرة سيد ولد آدم ولا فخر وعلى معنى هذا الفصل نظمنا
هذا القسم بأسره فصل واما الضرب الثالث فهو ما تختلف الحالات في القدح
به والتفاخر بسببه والتفضيل لاجله ككثرة المال فصاحبه على الجملة معظم
عند العامة لاعتقادها توصله به الى حاجاته وتكن اغراضه بسببه ولا
فليس فضيلة في نفسه فمتى كان المال بهذه الصورة فصاحبه منفق له في مهماته
ومهماته من اعتراه واهله وتصريفه في مواضعه مشتريا بذلك المعالي والثناء
الحسن والمنزلة من القلوب كان فضيلة في صاحبه عند اهل الدنيا واذا صرفه

في وجوه الخير وانفقه في سبيل الخير وقصد بذلك الله تعالى والدار الاخرة كان
فضيلة عند الكل بكل حال ومتى كان صاحبه ممسكا له غير مخرج وجوهه
حريصا على جمعه عادت كثرته كالعدم وكان منقصة في صاحبه فلم يقف به
على جد السلامة بل اوقعه في هوة رذيلة البخل ومذمة التذلل فاذا
التمدح بالمال وفضيلته عند مفضليه ليست لنفسه وانما هو التوصل به الى
غيره وتصريفه في متصرفاته فجامعه اذا لم يضعه مواضعه ولا وجوهه ولا وجوهه
غير ملي بالحقيقة ولا غني بالمعنى ولا ممتدح عند احد من العقلاء بل هو فقير
ابدا غير واصل الى غرض من اغراضه اذ ما بيده من المال الموصل لها لم يسلط عليه
فاشبه خازن مال غيره ولا مال له فكأنه ليس في يده منه شيء والمنفق ملي غني
بتحصيله فوائد المال وازلم يبق في يده من المال شيء فانظر سيرة نبينا صلى الله عليه
وسلم وخلقه في المال تجده قد اوتي خزائن الارض ومفاتيح البلاد واحلت له الغنائم
ولم تحل لنبي قبله وفتح عليه في حوته صلى الله عليه وسلم بلاد الحجاز واليمن بجميع
جزيرة العرب وما اذ ذاك من الشام والعراق وجبيت اليه من اخماسها وجزيتها
وصدقاتها ما لا يجبى لملوك الابعضه وهادته جماعة من ملوك الاقاليم فما استثنى
بشيء منه ولا امسك منه درهما بل كرفه مصارفه واغنى به غيره وقوى به
المسلمين وقال عليه الصلوة والسلام ما يسرني ان لي احدا ذهبا يبيت عندي منه
دينارا الا دينارا ارصده لدين وآتته دنانير مرة ففسمها وبقيت منها بقية
ستة فدفعها لبعض نسائه فلم يأخذه نوم حتى قام وقسمها وقال الان
استرحت وما ترك صلى الله عليه وسلم ودرعه مرهونة في نفقة عياله وقصر
من نفقته وملبسه ومسكنه على ما تدعوه ضرورته اليه وزهد فيما سواه
فكان يلبس ما وجده فيلبس في الغالب الشملة والكساء الخشن والبرد الغليظ

Copyright King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)